مجلة الترجمة واللغات المجلد 14 العدد 2015/02، ص. 223 -233
Revue de Traduction et Langues Journal of Translation and Languages
ر ت م د :1112-3974, ر ت م د إ 2600-6235

البحث الصوتيّ في الدّراسات العربية القديمة

Voice Search in Ancient Arabic studies

فراكيس أمحمد
Frakis M'hamed
جامعة معسكر مصطفى اسطمبول-الجزائر
University of Mascara Mustapha Stambouli-Algeria
mohamedfrakis@gmail.com

Abstract: *The sound has its impact on language because of its greatest communicative and understanding phenomena. Ancient peoples paid attention to sounds. The Indians were interested in describing sounds to preserve the correct pronunciation of religious sentences, and the Greeks took great care of language, especially sounds. As for the Greeks, they studied their language phonetically, so linguistic studies became part of their philosophical thinking. As for the phonetic search among the Arabs, it was characterized by accuracy, and this is what the people of the West witnessed for this superiority. The Holy Qur'an was a basic and direct starting point for three groups of studies: linguistic, rhetorical, and Quranic studies. Therefore, the signs of audio studies appeared in varying proportions in each of these three studies. Perhaps the first to consider the connection of the phonemic lesson with linguistic, morphological and grammatical studies is Al-Khalil, who built the arrangement of sounds on a logical basis, and came out with an eye dictionary, to be, rightly, the owner of this science, and its first pioneer. Then his student Sibawayh followed him, following in the footsteps of his teacher, and added to this science what testifies to him of his precedence in it, and the scholars of grammar and reading after him followed his doctrine. Then he took on the burdens of the linguistic voice after Al-Khalil the linguistic Ibn Jinni, bypassing the stage of construction and foundation to the stage of rooting, and exposed to sound issues in his two books: The Secret of the Syntax Industry, and Characteristics in Very Accurate Research.*

Keywords: *Genesis of phonetics, the language of the Qur'an, phonetic thought, heritage, culture.*

ملخص: للصّوت أثره في اللّغة لأنّها أكبر ظواهره التخاطبية والتفاهمية، ولقد أيقن القدامى هذه الحقيقة العلميّة، فاهتموا بالصّوت واعتبروه الأساس المعول عليه. اهتمت الشعوب القديمة بالأصوات فالهنود اهتموا بوصف الأصوات لإبقاء اللّفظ الصحيح للعبارات الدينية، وعني الإغريق باللّغة عناية فائقة وبخاصة الأصوات. أمّا اليونانيون فقد درسوا لغتهم دراسة صوتيّة، فأصبحت الدّراسات اللّغوية عندهم جزءًا من التفكير الفلسفي. أما البحث الصوتيّ عند العرب، فقد اتسمت بالدّقة، وعلى ذلك ما شهده أهل الغرب على هذا التّفوق. فكان القرآن الكريم منطلقاً أساسياً ومباشراً لثلاث مجموعات من الدراسات، هي: الدراسات اللّغوية، والبلاغية، والقرآنية، لذلك فقد ظهرت بوادر الدراسات الصوتية بنسب متفاوتة في كل من هذه

المؤلف المرسل: فراكيس أمحمد

الدراسات الثلاثة. ولعلّ أوّل من التفت إلى صلة الدّرس الصوتيّ بالدّراسات اللّغوية والصرفية والنحوية، هو الخليل الّذي بنى ترتيب الأصوات على أساس منطقي، وخرج علينا بمعجم العين، ليكون، بحقّ، صاحب هذا العلم، ورائده الأول. ثم تبعه تلميذه سيبويه سائراً على خطى أستاذه، وأضاف إلى هذا العلم ما يشهد له بقدم السبق فيه، وكان علماء النحو والقراءة من بعده يسيرون على مذهبه. ثم نهض بأعباء الصّوت اللّغوي بعد الخليل اللّغوي ابن جني متجاوزاً مرحلة البناء والتأسيس إلى مرحلة التأصيل، متعرضاً لقضايا الصّوت في كتابيه: سر صناعة الإعراب، والخصائص في بحوث غاية في الدِّقَّة.
الكلمات المفتاحية: نشأة الصوتيات، لغة القرآن، الفكر الصوتيّ، التراث، الحضارة.

تأصيل الدّراسة الصوتيّة عند العرب

لقد أدرك الدّراسون القدامى على اختلاف توجهاتهم العلميّة، وفي فترة مبكرة جدًّا من عمر الحضارة البشرية حقيقة دور الصّوت في اللّغة، فاهتموا به، واعتبروه الأساس المعول عليه. ولما كان الأمر كذلك فقد عُني أصحاب كلّ لغة بأصواتها منذ أقدم العصور، من ذلك ما أُثر عن قدماء الإغريق محاولات جادّة في البحث في بعض الأمور الصوتيّة المتعلّقة بلغتهم، حيث تمكّن علماء اللّغة بعد تأملهم العناصر الصوتيّة من تصنيفها على أساس الآثار التي يحدثها كلّ عنصر في أذن السّامع، كما ميّزوا بين الصوامت **les consonnes**والصوائت **les voyelles "**[1].

أمّا اليونانيون فقد عنوا بالحضارة الإغريقية، فدرسوا لغتهم دراسة صوتيّة وصفيّة مستفيدين في ذلك من البحـــوث اللّغوية التي سبقتهم، وبنوا عليها دراساتهم حتّى تبلورت إلى نظريات جديدة حول الظاهرة اللّغويّة. فقد اصطبغت الجهود اللّغوية عندهم بطابع الجدل والفلسفة السائدتين في تلكم العصر؛ فاهتموا بدراسة ومناقشة قضايا جوهرية، فأصبحت الدّراسات اللّغوية جزءًا من التفكير الفلسفي[2] .

فاليونانيون وعوا وعيًا عميقًا للتحليل الصوتيّ، يقول أرسطو 322-384ق.م «الحرف صوت لا يتجزأ، وهو صوت معين ومن طبيعته في تركيب صوت معقّد، ذلك لأنّ الحيوان أيضًا يصدر أصواتًا لا تتجزأ، ولكن لا يطلق عليها اسم الحروف، وتتألف الأبجدية من حروف صائتة، ومتوسطة، وصامتة، والحرف الصائت هو الّذي يملك صوتًا مسموعًا دون حركة في اللّسان، أو تقارب في الشفتين، والحرف المتوسط

[1] توفيق، خ2013. نوادر الترجمة والمترجمين. -ط1- الجيزة: هلا للنشر والتوزيع.

[2] عبد الفتاح البركاوي : مقدمة في أصوات اللّغة العربية ، مؤسسة الرسالة ، الأردن ، 1984م ، ص16.

هو الّذي يملك صوتًا مسموعًا بفضل هذا التقارب في اللّسان والشفتين، والحرف الصّامت لا يملك أيّ صوت.."[3] .

لقد بقي الدّرس اللّغوي اليوناني المصدر المؤثر في الدّرس اللّغوي الأوروبي في القرون الوسطى والمعاصر على حدّ سواء، وشملت تلك الجهود المباحث الصوتيّة والتي تتمثل أبرزها في:

أولا: اختراعهم "الأبجدية الإغريقية"، وإعادتها مرة أخرى على شكل معدل للكتابة الفينيقية"[4] .

ثانيا: تحليلهم الدقيق لـ"الوحدات الفونولوجية"، كالمقطع والفونيم.

ثالثا: ظهور التقسيم الثنائي للأصوات إلى "صوائت" و"صوامت" على يدّ "أفلاطون".

رابعا: إدراكهم من خلال التحليل الصوتيّ "الفروق الصوتيّة" بين أصوات اللّغة، أو ما يُعرف اليوم بـ"الألفونا"[5].

خامسًا: تمكنوا من معالجة ظاهرة المقطعية والنبرات، وأثرها في اختلاف الدّلالة؛ كما في كلمة **difiloc** ، فالتنبير على المقطع الأوّل **di/filoc** يجعل الكلمة دالة على صديق الآلهة، التنبير على المقطع الثاني **difi/loc** يجعلها دالة على اسم علم؛ فتوصلوا من خلال هذا التحليل والمعالجة للمقاطع الصوتية ونبراتها إلى نتائج مثمرة ومغذية حتّى لعلماء الصوتيات الحديثة في إعادة بناء النظام الفونولوجي لهذه اللّغة القديمة"[6].

أمّا الهنود فكانوا أكثر اتّساعاً وأعمق أثراً في آرائهم الصّوتيّة، فهم من أولى الأمم التي وصفت الأصوات اللّغويّة وصفًا دقيقًا من ناحية النّطق في تاريخ الإنسانيّة. "[7] فقاموا بدراسة معمّقة ودقيقة للّغة السنسكريتية Sanskrit ،وهي اللّغة الهندية التي تُعدّ أصل اللّغة الهندية الحديثة، وقد تطورت هذه اللّغة عن لهجة هندية منقرضة وترتبط ارتباطًا وثيقًا باللّغات الفيدية لغة الكتب المقدّسة الهندية، قبل أن تتطوّر إلى مجموعة من اللّغات الهندية الحديثة"[8] من الناحيتين الصوتيّة والنحويّة، وتمثلت هذه الجهود وتجلّت خاصّة

[3] ينظر: مناهج البحث في اللّغة: تمام حسان، مكتبة الأنجلو المصرية، ص14.

[4] George Mounin : Histoire de Linguistique des origines au 20éme siècle ; P86 3

[5] ينظر: Kristeva, Julia, *Le langage cet inconnu*, seuil, Paris, p 86-88

[6] ينظر: موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب روبنز، أحمد عوض،1979م، ص55.

[7] ينظر: موجز تاريخ علم اللّغة في الغرب روبنز ص55.

[8] أحمد حساني: مباحث في اللّسانيات، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1994، ص56-57.

لدى الباحث "بانيني" ***Panini***صاحب كتاب المسمّى ***Ashtadhyayi*** الّذي يُعدّ أبا للدّرس الصوتيّ في العالم منذ حوالي أربعة آلاف سنة من خلال جهوده ودراساته الصوتيّة المبنية على اللّغات الهندية أم اللّغات البشرية الأخرى، حتّى شبّه سيبويه به فيما بعد.

كما صنّف العلماء آنذاك الأصوات تصنيفًا يقوم على أساس عمليّة التصويت لا على أساس عمليّة الاستماع والتّلقي، فكانت أبرز إسهاماتهم في الدّراسة الصوتيّة:

-قسّم الهنود حروفهم إلى": كانتا هيا ="حلقي "،وتلافيا="حنكي"، موردهانيا ="دماغي.

إدخال ظهر اللّسان ورفع طرفه إلى أسفل الحنك "دانتيا="أسناني، أوستهيا =شفوي.

- عرفوا خاصّية المدّ في التّمييز بين الحروف.
- حلّلوا بكيفية دقيقة جدًّا العناصر النغمية والبنوية التي لها دور في التّمييز الصوتيّ.
- انتبهوا إلى الفرق بين الصّوت كظاهرة فيزيائية عامة، والصّوت كظاهرة فيزيائية فيزيولوجية خاصّة بالكلام، وبين الصّوت الحامل لمدلول، وهو ما يدركه المتكلّم والمخاطب من الصّفات السمعيّة الصوتيّة التي تكفي لفهم المدلول "[9].

فإذا كان الفيدا هو الّذي دفع الهنود إلى دراسة الأصوات اللّغويّة بتلك الدّقة من الإتقان، فإنّ قراءة القرآن هي التي جعلت علماء العربية القدماء يتأملون أصوات اللّغة.

لقد اهتم العرب القدامى باللّغة العربية منذ فجر الإسلام وكان الدّافع الرئيس وراء هذا هو الحفاظ على القرآن الكريم من اللّحن والتحريف على الرغم من أنّ العرب كانوا يتكلمون اللّغة العربية بالسليقة أيّ بالمران من غير تعليم ولا تلقين، إلاّ أنّه بعد دخول شعوب وأمم كثيرة في الدّين الإسلامي الحنيف إثر الفتوحات الإسلامية ،إذ دخل غير العرب في الإسلام، ممّا أدى إلى اختلاط اللّسان العربي ، فباتت اللّغة العربية في خطر والتي كان من آثارها فشو اللّحن وتسرّبه إلى الألسنة خاصة في القرآن الكريم ،فأصاب اللّغة العربية في أصواتها كما أصابها في نحوها وصرفها ودلالاتها ، وهو ما أدى ببعض الجهابذة من العلماء لدرء هذا الخطر، وخاصة علماء القراءات إلى الحفاظ على النّطق السليم لأصوات العربية.

ويروى أنّ أعرابياً قرأ الآية القرآنية الكريمة﴿ **أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ۙ وَرَسُولُهُ**﴾ "[10] بكسر لام رسوله بدلاً من ضمها، يفهم منها أنّ لحن الأعرابي كان لحناً صوتياً مسّ حركة اللام، وهي صوت،

[9] عصام نورالدين: علم الأصوات اللّغوية-الفونتيكا "المقدمة، دار الفكر اللبناني-بيروت، ط1، 1992، ص02.

[10] ينظر: عبد الرحمان حاج صالح: مدخل إلى اللّسان الحديث، مجلة اللّسانيات، مج 1، ج2/ص39.

فنشأ عن هذا خطأ في الدّلالة، وهو لحن كان له حافزا لأبي الأسود الدؤلي 67ه لأن يضع نقط الإعراب ، ثم إنّ قوله للكاتب، وهو يتلو عليه "إذا رأيتني قد فتحت فمي بحرف فانقط نقطة على أعلاه، وإذا ضممت فمي، فأنقط نقطة بين يدي الحرف، وإذا كسرت فمي فاجعل النقطة تحت الحرف، فإن اتبعت شيئاً من ذلك غنّة تنويناً فاجعل النقطة نقطتين"[11] إنّما يدلّ على أنّ أبا الأسود لاحظ أثر الشفتين في نوعية الصّوت الّذي يسميه المحدثون بالصائت***Vowel*** ، فحين سمّى الحركات القصيرة فتحة وضمة وكسرة اعتمد على شكل الشفتين ووضعيهما عند النّطق، وفي هذا إشارة إلى خاصّة مهمّة من خواص الحركات، ثم إنّ هذا الأساس في التنقيط عضوي فيزيولوجي يعتمده الدّرس الصّوتيّ الحديث " [12] .

"إنّ نقط المصحف دليل على أنّ أبا الأسود الدؤلي كان له سبق التفكير في وضع موانع للّحن الّذي كان سائدًا في المجتمع حوّله تـارة في القرآن وتارة في غيره، ولهذا اهتدى إلى ضوابط دلاليّة ولو أولية يمكن اعتبارها نواة أولى بنى عليها العلماء إلى أن نضجت في كتـاب سيبويه "[13]إذن، إن كان يهدف إلى المحافظة على لغة القرآن، فهو صنيع متّصل بالصوتيات أوثق الصّلة، كما أنّ نقط الإعجام الّذي قام به من الدوافع إليه المحافظة على أصوات العربية سليمة.

ولعلّ الحديث عن الدّرس الصّوتيّ عند العرب لا يتمّ إلاّ بذكر رائديه ومؤسسيه ومنظريه في القرن الثاني للهجرة ، إذ تعزى الزيادة فيه إلى "الخليل بن أحمد الفراهيدي، فقد كان الخليل بن احمد الفراهيدي ت 175 هـ من أوائل العلماء العرب الّذين عنوا بدراسة الأصوات اللّغوية فألّف كتاب العين الّذي بثّ فيه آراءه الصوتيّة في مخارج الأصوات وصفاتها فسمّى كتابه العين لأنّه بدأ بصوت العين وفي مقدمته الموجزة نجد أوّل مادة صوتيّة تدلّ على أصالة علمه ، فهو صاحب أوّل دراسة صوتيّة منهجيّة في تاريخ الفكر الصوتيّ عند العرب .فقد أيدّ علم الأصوات الحديث كثيرا ممّا ذهب إليه"[14] .

لقد أدرك الخليل بحسّه المرهف وذكائه المتوقّد على استنتاج أهمية الصّوت اللّغويّ حتىّ توصّل إلى ما توصّل إليه من نتائج وما ابتدعه وابتكره دون الإستعانة بالأجهزة العلميّة المتطوّرة المستعملة حديثًا، فهو

[11] سورة التوبة: الآية 03.

[12] أحمد مختار عمر: البحث اللّغوي عند العرب، ص77.

[13] كمال بشر: علم اللّغة العام، دار غريب للطباعة والنشر 2000 م، ص84.

[14] إبراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، ص102.

رائد الدّرس اللّغويّ وفي قوله الّذي أورده ابن يعيش في مقدمته إبراز لاضطلاعه بالمفاهيم المعرفيّة للّغة "من الأبواب ما لو شئنا أن نشرحه حتّى يستوي القويّ والضّعيف لفعلنا "[15].

يقول مصطفى السّقا: "ومن أحسن ما عرض له العرب في دراسة الأصوات ما نجده عند الخليل من وصف الجهاز الصّوتّي، وهو الحلق والفم إلى الشفتين، وتقسيمه إياه إلى مناطق ومدارج يختص كل منها بحرف أو مجموعة حروف، وما أشار إليه من ذوق الحروف لبيان حقيقة المخرج، فقد هدي بذكائه المتفوق في ذلك إلى مقاييس صحيحة أقرّ كثيراً منها علماء الأصوات المحدثون" [16]، وجعل مخارج الأصوات على النحو التالي: [17]

- الحلق؛ ويخرج منه العين والحاء والغين والخاء، وتسمى بـ "**الحروف الحلقية**".
- اللهاة؛ ويخرج منها: القاف والكاف، وتسمى بـ "**الحروف اللهوية**".
- شجر الفم؛ ويخرج منه الجيم والشين والضاد، وتسمى بـ "**الحروف الشجرية**".
- أسلة اللّسان؛ ويخرج منها الصاد والسين والزاء، وتسمى بـ "**الحروف الأسلية**".
- نطح الغار الأعلى؛ ويخرج منه الطاء والتاء والدال، وتسمى بـ "**الحروف نطعية**".
- اللّثة؛ ويخرج منها الظاء والذال والثاء، وتسمّى بـ "**الحروف اللثوية**".
- ذلق اللّسان؛ ويخرج منه الراء واللام والنون، وتسمى بـ"**الحروف الذلقية**".
- الشفة؛ ويخرج منه الفاء والباء والميم.
- الحروف الهوائية؛ وهي الياء والواو والألف فهي حروف يخرج من حيز واحد؛ لأنّها لا يتعلق بها شيء.

وجاء معاصروه من تلامذته ومن تبعهم فاستفادوا ممّا أقرّه في هذا الميدان ووصلوا إلى حقائق صوتيّة يعتدّ بها الدّرس الصّوتيّ الحديث ،يأتي في مقدمتهم سيبويه ت 180 هـ فقد استلهم أفكار الخليل وصاغها بشكل يتميّز بالدّقة فكان دقيقًا في تحليلاته وتقسيماته لصفات الأصوات ومخارجها فضلاً عن الظواهر الصوتيّة التي درسها دراسة واعية تنمّ عن إدراك عميق لأسباب تلك الظواهر وأبعادها الصوتيّة .فمن

[15] ممدوح محمد خسارة: مبادئ عامة في تيسير النحو، مجلة في علوم اللّسان وتكنولوجياته، مركز البحوث العلميّة والتقنية لترقية اللّغة العربية، 2003م، ص28.

[16] صفية مطهري:الدّلالة الإيحائية في الصيغة الافرادية، منشورات اتحاد الكتّاب العرب دمشق، 2000م ، ص18.

[17] مقدمته في تحقيق سر صناعة الاعراب: ج 1/ص13.

إبداعات هذا الرجل تقسيمه الحروف العربية إلى حروف أصول وحروف فروع وهذا يتّفق إلى حدّ كبير مع حديث الصوتين المحدثين عن الوحدات الصوتيّة والصور الصوتيّة، إلى جانب تفريقه بين الصوت المجهور والصوت المهموس" يكمن في أنّ المجهور يصدر من الصدر والفم، في حين يصدر المهموس من الفم فحسب[18]، فقال في تعريفه للصّوت المجهور والمهموس: "حرف أشبع الاعتماد في موضعه، ومنع النّفس أن يجري معه حتّى ينقضي الاعتماد عليه. بينما المهموس: حرف أضعف الاعتماد في موضعه حتّى جرى النّفس معه"[19].

وفي القرن الرّابع الهجري أخذت الدّراسة الصوتيّة مرحلة الإستقلال على يد الإمام أبي الفتح بن جنيّ 329هـ في كتابه سرّ صناعة الإعراب، فقد تناول فيه توضيحات وشروح جعلته المصدر الوافي، ونتلخّص مباحثه الصوتيّة فيما يلي:

- عدد حروف المعجم وترتيبها.
- وصف مخارج الحروف وصفًا تشريحيًا دقيقًا.
- بيان الصّفات العامّة للحروف وتقسيمها إلى أقسام مختلفة.
- نظرية الفصاحة في اللّفظ المفرد وأنّها راجعة إلى تأليفه من أصوات متباعدة المخارج"[20].

ولا تقتصر جهود ابن جني الصوتية على ما في سرّ الصناعة وإنّما تتعدّاه إلى كتبه الأخرى، وفي مقدمتها الخصائص الّذي تضمن مادة صوتيةً غنيّةً جاء بعضها منثوراً في تضاعيف الكتاب، وأُفرد بعضها الآخر في أبواب مستقلة مثل باب في كمية الحركات، وباب في مطل الحركات، وباب في مطل الحروف"[21].

وفي القرن الخامس الهجري تقدّم البحث الصّوتيّ خطوة إلى الأمام بما أبدعه العالم اللّغوي ابن سينا

[18] ينظر: العين: الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية،2003 - 1424 ، ج 1/ص48.

[19] ينظر: الكتّاب: سيبويه، تحقيق: عبد السلام هارون، عالم الكتب، بيروت، 1385هـ ـ 1966م، ج 2/ ص284.

[20] الكتّاب: ج 2/ ص405

[21] ابن جنيّ: سرّ الصناعة، تحقيق: حسن الهنداوي، دار القلم، دمشق، ط2، 1413ه-1993م، ص14.

428ه من منهج تفرّد به في كتابه "أسباب حدوث الصّوت "، الّذي تحدّث فيه عن الصّوت الإنساني كظاهرة طبيعيّة النّاحية الفيزيائيّة بالإضافة إلى اهتمامه بالنّاحية الفسيولوجية، وخاصّة ما يتعلّق بتشريح الحنجرة واللّسان[22]، فتميزت أبحاثه بمصطلحات لم يذكرها من سبقه من اللّغويين والنّحاة.

ولم تكن دراسة الأصوات مقصورة على علماء اللّغة بشتى تخصصاتهم فقد شاركهم في ذلك علماء التجويدوالقراءات القرآنية والبلاغيون أيضا.

أمّا علماء التجويد والقراءات القرآنية، فكان لهم الحظ الأوفر في تلك الدّراسات الصوتيّة، حيث أصبح كلّ كتاب أو نظم لعلم التجويد يبدؤه صاحبه بمخارج الأصوات اللّغوية وبيان صفاتها. فقد وُسمت مصنفاتها بأنّها أكثر الكتب احتفاء بالمادّة الصوتيّة، وذلك لابتغائها الدّقة في تأدية كلمات القرآن الكريم قراءةوتدوينا إلى حدٍّ جعل بعض الباحثين يذهبون إلى أنّ هذه العلوم انفردت بالدّرس الصوتي وأغنته"[23]. انطلقوا من الدّرس الصّوتي لتأصيل علم التجويد، فوضعوا عشرات المصطلحات الخاصّة بالأداء الصّوتيّ الدقيق للقرآن الكريم، فيما يُسمّيه علماء الأصوات اليوم بـ"علم وظائف الأصوات" ***phonology***، ومنها صفات الحروف: كالهمس والجهر،والشّدّة والرخاوة والتوسُّط، والاستعلاء والاستفال،وغير ذلك كالمدّ واللّين والانحراف والتكرير والتفشي والإستطالة والإدغام والإخفاء، ثمّ أحكام الوقف و السّكت.ولعلّ أبرزها ما وضعه الإمام ابن الجزريّ 833ه المقرئ المشهور، وله في هذا الباب أكثر من أثر،من ذلك كتابه التمهيد في علم التجويد وقد تناول فيه كلّ مسائل التجويد وضمّ إليها باباً في الوقف والابتداء،وآخر في معرفة الظاء وتمييزها من الضاد " [24].

أمّا علماء **البلاغة** فقد أسهموا بقسط كبير في الدّراسات الصوتيّة، "فهم عرضوا لفصاحة الكلمة بحسب المخارج، وائتلاف الحروف، لبيان حسن التأليف وقبحه.

وقد زاد الجاحظ 255هـ في كتابه " البيان والتبيين " من العناية في الدّراسة الصوتيّة في أكثر من موضع، حيث تكلّم على اللّثغة، والصّوت ونسج الكلمة العربية وتردّد الحروف فيها " [25]، وأشار أيضًا إلى

[22] ابن جنّي: الخصائص، المكتبة العلمية، مصر، ج 3/ ص120

[23] ابراهيم أنيس: الأصوات اللّغوية، ص140.

[24] محمد منصف القماطي: الأصوات ووظائفها، منشورات جامعة الفاتح 1986م، ص88.

[25] شمس الدين أبي الخير محمد بن الجزري: التمهيد في علم التجويد تحقيق :د. غانم قدوري الحمد، ط1، 1421ه-2001م، مؤسسة الرسالة، لبنان، ص 165

البناء الصوتيّ للكلمة العربية، وإلى ما يأتلف في نسجها وما لا يأتلف، أيّ ما عُرف بالتنافر والتلاؤم حيث قال: " فأمّا في افتراق الحروف، فإنّ الجيم لا تقارب الظاء، ولا القاف، ولا الطاء ...بتقديم، ولا تأخير، والزاي لا تقارن الظاء ولا السين والضاد ولا الذال..."[26] .أمّا كتاب "سرّ الفصاحة" عقد الخفاجي 466هـ فيه فصلاً مفرداً للأصوات تكلّم على ماهيتها وإدراكها، وفصلاً مفرداً للحروف تكلّم فيه على حدِّها واختلافها ومخارجها وصفاتها، ثم تناولها موضوع تأليف الحروف وتنافرها، وإعجاز القرآن حيث تكلّم الباقلاني 403هـ على صفات الحروف وعلاقتها بفواتح السور.

فالعربُ قاموا بجهد هائل في دراسة اللّغة، واجتهدوا في جمع أصول اللّغة ولِمّ شتاتها واستنباط أحكامها العامّة، بل رأوا أنّه بالإمكان تتبّع المفاهيم التي أتوا بها ومقارنتها ببعض المفاهيم الألسنية المعاصرة. وهكذا فليس جديدا القول بسبق العرب إلى تأصيل الصّوت اللّغويّ منذ القدم، يقول ابراهيم أنيس:" ولقد كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللّغوية شهد المحدثون أنّها جليلة القدر بالنسبة إلى عصورهم. وقد أرادوا بها خدمة اللّغة العربية والنّطق العربي، وسيما في الترتيل القرآني، ولقرب هؤلاء العلماء من عصور النهضة العربية، واتّصالهم بفصحاء العرب كانوا مرهفي الحسّ، دقيقي الملاحظة، فوصفوا لنا الصّوت العربي وصفًا أثار دهشة المستشرقين وإعجابهم" [27].

فريادة العرب القدماء في هذا المجال، وما توصلوا إليه من نتائج، ممّا دفع جملة من اللّغويين الغربيين إلى الإعتراف بهذا التفوق، حين قال المستشرق الألماني اللّغوي براجشتراسر:"ولم يسبقِ الغربيين في هذا العلم إلاّ قومان من أقوام الشرق وهما أهل العرب **والهند"[28].**

أمّا جورج مونان فقد اعترف أيضًا بجودة الصّوت عند العرب قائلا: " منذ القرن الثامن الميلادي كان علماء اللّغة في البصرة يسعون إلى وصف لغتهم وصفًا صوتيًا، وسواء أوجدوا تلقائيًا علمًا للأصوات جديرا بأن يذكّرنا بالعلاّمة بانيني، أم أنّهم اقتبسوا هذا العلم عنه، فتلك مشكلة على حدة، ولكن لابد لنا

[26] ينظر: البحث اللّغوي عند العرب: أحمد عمر مختار، ص97 .

[27] الجاحظ: البيان والتبيين، مكتبة الخانجي، تحقيق: عبد السلام هارون، 1418ه-1998م، ج1/ص79.

[28] ابراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ص05.

أن نعترف بوجود هذا العلم في الأصوات وأنّه علم فذّ ممتاز"[29]. ويقول العالم فيرث:" إنّ علم الأصوات قد شبّ في خدمة لغتين مقدستين هما: السنسكريتية والعربية "[30].

وفي العصر الحديث ظفرت الدّراسات الصوتيّة بحيز وافر من الأهمية عند علماء اللّغة المعاصرين، وعدّوه المدخل الرئيس الّذي تقوم عليه بقية المستويات اللّغوية، فقد توصّلوا إلى نتائج دقيقة في مجال الأصوات اللّغوية، مرتكزين في ذلك على ما أسّسه العلماء القدماء، التي مهّدت لهم الطريق للوصول إلى تلك الحقائق العلميّة، أمثال إبراهيم أنيس، وتمّام حسّان، وكمال بِشر، ومحمود السعران وآخرون.

فالعلماء العرب قد خلفوا لنا تراثا" صوتيا" موزعا على علوم العربية المتعددة من نحو وصرف وبلاغة ومعجم. فضلا عن توزعها في الظواهر اللّغوية التي تضمها هذه العلوم. اعتماداً على ما سبق يمكننا أن نقول أنّ نشأة الصوتيات العربية قديمة كانت في أحضان لغة القرآن الكريم. وقد توصّلوا إلى حقائق علميّة دقيقة، دون الاستعانة بأية أجهزة أو تقنيات حديثة، وهذا يدلّ على عبقريتهم الفذّة وذكائهم.

References

[1] Al-Qur'ān al-Karīm bi-riwāyat Ḥafṣ ʻan ʻĀṣim

[2] Ibrāhīm Anīs : al-aṣwāt alllghwyh, Maktabat Nahḍat Miṣr wa-Maṭbaʻatuhā bi-Miṣr.

[3] Aḥmad Ḥassānī : Mabāḥith fī alllsānyāt, Dīwān al-Maṭbūʻāt al-Jāmiʻīyah, al-Jazā'ir, 1994.

[4] Aḥmad Mukhtār ʻUmar : al-Baḥth alllghwy ʻinda al-ʻArab.

[5] Birjistrāsir : alttṭwr al-Naḥwī lil-lughah al-ʻArabīyah, taʻlīq : Ramaḍān ʻAbd al-Tawwāb, ṭ2, 1414h-1994m, Maktabat al-Khānjī, al-Qāhirah.

[6] Ibn jnī : Sirr al-ṣināʻah, taḥqīq : Ḥasan al-Hindāwī, Dār al-Qalam, Dimashq, ṭ2, 1413h-1993m.

[7] Ibn jnī : al-Khaṣā'iṣ, al-Maktabah al-ʻIlmīyah, Miṣr.

[8] Tawfīq, Kh 2013. Nawādir al-tarjamah wālmtrjmyn. - ṭ1-al-Jīzah : Halā lil-Nashr wa-al-Tawzīʻ.

[9] Al-Jāḥiẓ : al-Bayān wa-al-tabyīn, Maktabat al-Khānjī, taḥqīq : ʻAbd al-Salām Hārūn, 1418h-1998m.

[29] برجستراسر: التّطور النحوي للغة العربية، تعليق: رمضان عبد التواب، ط2، 1414ه-1994م، مكتبة الخانجي، القاهرة ص11.

[30] جورج مونان: تاريخ علم اللّغة من نشأتها حتى القرن العشرين، ترجمة بدر الدين القاسم، مطبعة جامعة دمشق، 1972م، ص107.

[10] Jūrj mwnān : Tārīkh ‘ilm alllghh min nash’atuhā ḥattá al-qarn al-‘ishrīn, tarjamat Badr al-Dīn al-Qāsim, Maṭba‘at Jāmi‘at Dimashq, 1972m.
[11] Sībawayh, al-Kitāb, taḥqīq : ‘Abd al-Salām Hārūn, ‘Ālam al-Kutub, Bayrūt, 1385h 1966m.
[12] Shams al-Dīn Abī al-Khayr Muḥammad ibn al-Jazarī : al-Tamhīd fī ‘ilm al-tajwīd taḥqīq : D. Ghānim Qaddūrī al-Ḥamad, Ṭ1, 1421h-2001m, Mu’assasat al-Risālah, Lubnān.
[13] Ṣafīyah Muṭahharī : alddlālh al-īḥā’īyah fī al-ṣīghah alāfrādyh, Manshūrāt Ittiḥād al-Kitāb al-‘Arab Dimashq, 2000M.
[14] ‘abd al-Fattāḥ albrkāwy : muqaddimah fī Aṣwāt alllghh al-‘Arabīyah, Mu’assasat al-Risālah, al-Urdun, 1984m.
[15] ‘abd al-Rahman Hajj Sali : Makal il Allan al-hadith, Mamaillât alllsānyāt.
[16] Sam Nr-al-Dīn : ‘ilm al-aṣwāt alllghwyt-ālfwntykā "al-muqaddimah, Dār al-Fikr allbnāny-byrwt, Ṭ1, 1992.
[17] Al-‘Ayn : al-Khalīl ibn Aḥmad al-Farāhīdī, taḥqīq : ‘Abd al-Ḥamīd Hindāwī, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, 1424 – 2003.
[18] Kamal Biser : ‘ilm alllghh Alam, Dār Gharb lil-Ṭibā‘ah wa-al-Nashr 2000 M.
[19] Muḥammad Munṣif al-Qimāṭī : al-aṣwāt wa-waẓā’ifihā, Manshūrāt Jāmi‘at al-Fātiḥ 1986m.
[20] Mamdūḥ Muḥammad Khasārah : Mabādi’ ‘āmmah fī Taysīr al-naḥw, Majallat fī ‘ulūm alllsān wtknwlwjyāth, Markaz al-Buḥūth al‘lmyyh wa-al-Tiqnīyah li-Tarqīyat alllghh al-‘Arabīyah, 2003m.
[21] Manāhij al-Baḥth fī alllghh : Tammām Ḥassān, Maktabat al-Anjlū al-Miṣrīyah.
[22] Mūjaz Tārīkh ‘ilm alllghh fī al-Gharb rwbnz, Aḥmad ‘Awaḍ, 1979m.
[23] Mounin, G. (1996). Histoire de Linguistique des origines au XXe siècle. Quadrige. Presse Universitaire de France.
[24] Kristeva, J, (1981). Le langage cet inconnu, seuil, Paris.